



القضية المحسومة

ملخصات من مكتبي

مدونة الصباح

B6am.com

كتاب الله لم يجعل هذه القضية عائمة، أو
محتمة، أو نسبية، بل حسمها بشكل يقيني
واضح وصريح، وكشف الغاية من خلق
الإنسان بلغة حاصرة، فقال سبحانه وتعالى:
{وما خلقت الجن والإِنس إلا ليعبدون} [الذاريات:

[٥٦] وما سوى ذلك هي أهداف يجب أن
نضعها نحن كمسلمين في مسار يمضي
نحو الغاية التي خلقنا الله من أجلها لذلك
كان لزامن أن تكون الأدوات والوسائل
المستخدمة لتحقيق الأهداف ضمن المباح
في شريعتنا الإسلامية حيث الغاية لا تبرر
الوسيلة المحرمة.

□ الغاية من خلق الإنسان

وبتدبر كتاب الله سبحانه وتعالى نجد أن
الحضارة والتمدن والعلوم الدنيوية
بتعريفاتها المادية ليست المقصود الأولوي
بحسن العمل؛ لذلك أرسل الله الرسل في
التاريخ البشري لأهم أثبت الله سبحانه
وتعالى تميُّزها في عمارة الأرض وعمق
علمها بالدنيا، كما قال سبحانه عن الأمم
السابقة : {كانوا أشد منهم قوة وأثاروا

الأرض وعمروها} [الروم: ٩]

□ الحضارة المادية ليست غاية خلق
الإنسان

وقال عن علمهم المدني على سبيل الذم
يصف حالتهم في نظرتهم القاصرة إلى
الدنيا : {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}

[الروم: 7]

وفي القرآن بيان جلي لوظيفة النبوات
والكتب السماوية والشرائع، وأنها كلها
تهدف التأكيد على عبادة الله، والاستعداد
للحياة المستقبلية بعد الموت، وليست
المنافسة العالمية في المدنية والحضارة
الدنيوية كما قال سبحانه وتعالى عن
وظيفة الرسل {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ
رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}

[النحل: ٣٦].

رسالة الأنبياء و الرسل

وذكر سبحانه وتعالى السؤال الإلهي عن
تحقيق هذه الغاية فقال {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ
وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ
آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا} [الأنعام: ١٤٤].
وقال سبحانه وتعالى مُبَيَّنًا وظيفة الشرائع
{وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ} [البينة: ٥].

□ السؤال الإلهي عن تحقيق هذه
الغاية

بكل وضوح وصراحة، وبلا مجاملة ولا مداورة ولا
التفاف.. الحضارة بالمعنى الشائع والتي هي
العلوم المدنية والدينية لخلق الرفاه البشري
هي قيمة ذات مرتبة تبعية في الوحي الإلهي،
وليست الغاية، ولا الأولوية الرئيسية، أو القضية
المركزية، كما نحب أن نتظاهر بذلك.

أعلم أن هذا الأمر يزعج الكثيرين، بل يؤلمهم؛
لأنهم يريدون بالكثير من حُسن النية كسب
تعاطف النخب المثقفة تجاه الإسلام، لكن هذه
هي الحقيقة.

□ هذه هي الحقيقة

إننا يجب أن نكسب انتماء الناس إلى الإسلام
والقرآن والنبى محمد كما هم في ذاتهم، أي :
كما كانوا فعلا، لا كما جعلناهم نحن عبر
عمليات إعادة التصنيع والتشكيل طبقا لميول
المستهلك، الإسلام في نسخته الحقيقية
الصادقة، لا الإسلام الذي يميل إلى سماعه
المخاطبون، النبى محمد -صلوات الله عليه- كما
عاش فعلا بين حرّات طابة، لا صورة النبى
المصممة للذوق الفرانكفوني.

□ علينا تقديم الإسلام في
نسخته الحقيقة الصادقة

لذلك؛ كان وسيظل ينبوع الانحراف الثقافي -
بكل اختصار - الانبهار بالمظاهر المادية من
عمران ومدنية وحضارة دنيوية مادية، والزهد في
مضامين الوحي من العلوم الإلهية وحقائق
الإيمان والغيبيات ومعاملة الله سبحانه وتعالى.

□ الانبهار بالمظاهر المادية مع
الزهد في مضامين الوحي
يؤدي إلى رؤية غير صحيحة عن
الغاية من خلق الإنسان

كثيراً ما يشير القرآن إلى أن كل ما على هذه البسيطة من موارد وإمكانات ليس المراد بها رفاه الجنس الإنساني، وإنما المراد بها ابتلاء الناس وامتحانهم هل يؤمنون ويقبلون على الله، أم يعرضون عنه؟ كما قال سبحانه وتعالى {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلٍ} [الكهف: ٧].

وكشف سبحانه وتعالى عن وظيفة المعاش المادية والتمكين السياسي، فقال سبحانه وتعالى {وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} [الأعراف: ١٠].

□ إشارات القرآن واضحة في مراد خلق الثقلين

بل ويشير سبحانه وتعالى إلى عظمة هذا
التمكين المدني وعمقه، فيقول سبحانه و
تعالى {وَلَقَدْ فَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ فَكَّنَّاكُمْ فِيهِ
وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى
عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ
شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَافَ بِهِمْ مَا
كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [الأحقاف: ٢٦].

□ مهما بلغ عظم التمكين فهي
نعم توجب الشكر لله

فانظر كيف عرض الله المعاييش المدنية
باعتبارها نعمة من الله لا ابتلاء للناس، لا أنَّها
هي المطلب الشرعي الرئيس، ثم يؤكد على
الغاية الشعائرية والحسبوية من نعمة التمكين
السياسي في موضع آخر ، فيقول {الَّذِينَ إِنْ
مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ
وَأَقْرَبُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ^{قُلْ} وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ
الْأُمُورِ} [الحج: ٤١].

□ صفات الموعودون بالنصر
والتمكين

وحيث يعرض الله الصورة الراقية للمؤمن يؤكد
أنه ذلك الرجل الذي لا يشغله النشاط
الاقتصادي عن الغاية الحقيقية للعبادة، وأن
الدنيا في يده لا تعظيم لها في قلبه؛ لأن نظره
الحقيقي مربوط بلحظة لقاء الله، فيقول
سبحانه وتعالى {رَجُلٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ
عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَاقَامِ الصَّلَاةِ وَآتَا زَكَاةً^١ يَخَافُونَ
يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ} [النور: ٣٧].

□ صفات المؤمنين في القرآن

□ ميزان الله سبحانه وتعالى

ينبه الله في مواضع كثيرة من الوحي على أن
المنزلة والمكانة الحقيقية عند الله ليست
بالمظاهر المدنية المادية، ولا بالإمكانات
الاقتصادية والديموغرافية، فقال سبحانه
وتعالى : {وما أموالكم ولا أولادكم بالتي
تقربكم عندنا زلفى}. [سبأ: ٣٧]

وما ذلك كله إلا لتفاهة الممتلكات المادية في
ميزان الله.

الخلاصة . . .

عمارة الأرض ثمرة الالتزام بشرع الله وليس غاية الوجود قال تعالى : { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [الأعراف 96] وما أن تفكر في تمكين شرع الله وإقامة حدوده وتعبيد الناس لله وحده لا شريك له تجد كل ما حولك من أسباب العمارة والنماء يندفع إليك طوعاً مسخراً قال تعالى : { وَالْوِاسْتِقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَاهُمْ مَّاءً غَدَقًا } [الجن 16] فعمارة الماديات وهدم الأرواح هو الفساد وهو سعي المنافقين وإن كانوا مصلحين عند أنفسهم { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ . أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ } [البقرة : 11 . 12] فالمسلم مطالب بعمارة الأرض بعقيدة راسخة وعلم نافع وصدق تعامل وأمانة و وفاء والابتعاد عن كل ما يخل بالفطر الإنسانية التي فطر الله الناس عليها بدون تعلق بالدنيا أو إعطائها فوق حجمها الطبيعي فهي وسيلة إلى الحياة الآخرة، وليست هدفاً في ذاتها.